مشروع إحياء تراث أعلام قسم العلوم السياسية - جامعة القاهرة

د/ منى أبو الفضل عبدالمنعم
١٩٤٥-٢٠٠٨

د. رامي مجدي
أ. يمني صلاح
أ. سارة حرفوش
أ. مروة حماد

تقديم

منى أبو الفضل (1945-2008) عالمة جليلة ومنهجية متمكنة في مجالها، حيث تخصصت كأستاذة علوم سياسية في النظرية السياسية وقدمت رؤية منهجية متميزة تمتد إلى النظم السياسية والعلاقات الدولية وأنظمة الحكم والتنشئة السياسية والتطور السياسي ومناهج النقد والتحليل السياسي والتاريخ السياسي. وتشمل رؤيتها المنهجية العلوم الاجتماعية بشكل عام، بما فيها الدراسات الحضارية والثقافية ودراسات المرأة. وتقوم رؤيتها على مقاربة نقدية للغرب ترفض التبعية وتهدف إلى تأصيل موقف تجديدي ينطلق من واقع الحضارة الإسلامية.

ولدت منى أبو الفضل في القاهرة عام 1945 لأسرة مرموقة، فوالدها كان أستاذ الباثولوجيا الإكلينيكية ووالدتها أستاذة طب الأطفال ومؤسسة طب المجتمع وأول مصرية وعربية تحصل على زمالة كلية الأطباء الملكية بلندن. تلقت منى تعليمها الأولي في إنجلترا ثم التحقت بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة حيث حصلت على البكالوريوس عام 1966 كالأولى على دفعتها، ثم نالت درجة الدكتوراه من جامعة لندن عام 1975 في النظرية السياسية. وتدرجت في الكادر الجامعي بجامعة القاهرة حتى أصبحت أستاذا عام 1990.

سافرت منى أبو الفضل إلى أمريكا عام 1984 في إطار برنامج فولبرايت، ثم عملت أستاذا زائرا في المعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرجينيا حتى 1995، وبعدها أستاذا في جامعة العلوم الاجتماعية والإسلامية هناك حتى 2003. ثم عادت إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة حتى وفاتها عام 2008 في أمريكا بعد صراع مع مرض السرطان. وكانت متزوجة من الدكتور طه جابر العلواني، رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي والمفكر الأصولي، ولها معه مؤلفات مشتركة.

من أهم مؤلفاتها: "نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي"، "الأمة القطب: نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة في الإسلام"، "نحو منهجية علمية لتدريس النظم السياسية العربية" وغيرها وتهدف كتاباتها إلى تقديم رؤية قادرة على تمثل وتمثيل مفاهيم وقيم الحضارة الإسلامية في إطار ما تسميه "المنظور الحضاري الإسلامي" كمنهجية لنموذج معرفي توحيدي في العلوم الاجتماعية والسياسية يشكل بديلا وإضافة للمنتج

العالمي. وقد انطلق مشروع الدكتورة منى أبو الفضل الفكري من ثلاثة محاور رئيسية: المعرفي، والنظري، والتطبيقي. على الصعيد المعرفي، قدمت مفهوم "الأنساق المتقابلة" كأساس معرفي بديل للنموذج الغربي. أما على الصعيد النظري، فطرحت المنظور الحضاري الإسلامي كنموذج نظري رائد. وعلى الصعيد التطبيقي، ركزت على تدريس العلوم السياسية والاجتماعية في إطار المنظور الحضاري الإسلامي، وعلى حقل دراسات المرأة والنوع الاجتماعي.

أولاً: إسهام منى أبو الفضل على الصعيد المعرفي

في مقالها "النظرية الاجتماعية المعاصرة: نحو طرح توحيدي في أصول التنظير ودواعي البديل"[1]، تُقدم الدكتورة منى أبو الفضل نقدًا معمقًا ودقيقًا للنظرية الاجتماعية الغربية المعاصرة، سعيًا منها لبلورة رؤية بديلة تنطلق من منظور حضاري توحيدي . وتُؤسس أبو الفضل طرحها على مشروع فكري طموح أطلقت عليه "الأنساق المتقابلة"، والذي يسعى إلى تفكيك الأنساق الحضارية المختلفة والكشف عن مكوناتها الأساسية، ومن ثمّ تحليل كيفية تفاعلها وتأثيرها في تشكيل النظريات الاجتماعية . وتتمحور الفكرة الرئيسية التي تنطلق منها أبو الفضل حول ضرورة إعادة النظر في الأسس المعرفية والمنهجية التي قامت عليها النظرية الاجتماعية الغربية، وذلك من منظور توحيدي إسلامي.

وتقترح أبو الفضل، في إطار "الأنساق المتقابلة"، نموذجًا بديلًا للنموذج الغربي الحديث الذي يرتكز على النزعة المادية والنفعية والصراعية. وتُطلق على هذا النموذج البديل اسم "النموذج التوحيدي"، والذي يستمدّ مرجعيته من رؤية دينية وميتافيزيقية للكون والإنسان، ساعيًا لتحقيق التوازن بين المتطلبات المادية والروحية، والقيم الفردية والجماعية. وترى أبو الفضل أن النموذج المعرفي المادي المهيمن على النظرية الغربية، والذي يُقصي البُعد الروحي والقيمي ويختزل الإنسان في أبعاده المادية والصراعية، هو نموذج قاصر وغير قادر على استيعاب الظاهرة الإنسانية بكليتها وعمقها.

وفي مقابل هذا النموذج المتأرجح بين المثالية المطلقة والمادية المفرطة، تطرح أبو الفضل "النموذج التوحيدي" أو "الوسطي" كبديل شامل. ينطلق هذا النموذج من رؤية دينية وميتافيزيقية للكون والإنسان والمجتمع، مستمدةً مرجعيتها من مبدأ التوحيد الإسلامي. ويهدف هذا النموذج إلى تحقيق التوازن بين الأبعاد المادية والروحية، والفردية والجماعية، وإرساء أسس نظرية اجتماعية متوافقة مع المنظومة القيمية والأخلاقية الإسلامية. ولا يقتصر طرح أبو الفضل على نقد النموذج الغربي وكشف قصوره، بل يتجاوزه إلى محاولة بناء نموذج بديل قابل للتطبيق والتفعيل. فهي لا تدعو إلى رفض المناهج والنظريات الغربية بشكل كامل، بل تُحثّ على تمحيصها ونقدها وإعادة صياغتها بما يتوافق مع الرؤية التوحيدية. كما أنها لا تكتفي بالدعوة إلى "أسلمة" المعرفة الاجتماعية، بل تُقدم تصورًا منهجيًا لكيفية تحقيق ذلك على أرض الواقع.

وهنا تبرز أهمية مفهوم "الأنساق المتقابلة" الذي تتبناه أبو الفضل كاستراتيجية بحثية. فهذا المفهوم يقوم على المقارنة والمقابلة بين النماذج المعرفية المتباينة، وتحليل مكوناتها الأساسية وخلفياتها الفكرية، بهدف الكشف عن جوانب التعارض والتوافق بينها. وهذه المنهجية تسمح بتجاوز النظرة الأحادية والاختزالية التي تهيمن على الخطاب المعرفي السائد، وتفتح الباب أمام حوار بنّاء بين الأنساق المعرفية المختلفة.

فعلى سبيل المثال، تبيّن أبو الفضل كيف أن النموذج المادي الغربي، بافتراضاته الحتمية والصراعية، قد أثّر بشكل عميق في تشكيل النظرية الاجتماعية الغربية وصياغة مفاهيمها ومناهجها. فهذا النموذج ينطلق من فكرة أن العالم المادي هو كل ما يمكن معرفته، وأن الإنسان مجرد كائن طبيعي خاضع لقوانين الطبيعة الصارمة، وأن الصراع والتنافس هما المحركان الأساسيان للسلوك الفردي والجماعي. وقد انعكست هذه الافتراضات على النظريات الاجتماعية الغربية، فجعلتها تركز على الأبعاد المادية والصراعية للظاهرة الاجتماعية، وتتجاهل الأبعاد الروحية والقيمية والتعاونية فيها.

في المقابل، يقدم النموذج التوحيدي الذي تتبناه أبو الفضل رؤية مغايرة تماماً للإنسان والمجتمع. فهو ينطلق من فكرة وحدانية الله كمصدر للوجود والمعرفة والقيم، ويرى أن الإنسان كائن مركب من جسد وروح، وأنه مستخلف في الأرض لإعمارها وفق منهج رباني. كما يؤكد هذا النموذج على القيم الأخلاقية والمقاصد الشرعية كموجهات أساسية للسلوك الفردي والنظام الاجتماعي، ويرفض اختزال الحياة الإنسانية في الأبعاد المادية والصراعية. وهو يدعو إلى توظيف المنهج العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية، ولكن دون إغفال الأبعاد النوعية والمعيارية فيها.

وهكذا، فإن منهجية الأنساق المتقابلة التي تتبناها أبو الفضل، تسمح بكشف أوجه القصور في النموذج المعرفي الغربي، وتطرح بديلاً شاملاً ومتكاملاً هو النموذج التوحيدي. ولكنها في الوقت نفسه لا تدعو إلى القطيعة التامة مع التراث المعرفي الغربي، بل تدعو إلى الانفتاح عليه والاستفادة من معطياته بشكل نقدي وانتقائي. فالتوحيد كما تؤكد أبو الفضل ليس مجرد عقيدة دينية مجردة، بل هو منهج حياة شامل يستوعب كل جوانب الوجود الإنساني، ويوفر إطاراً تكاملياً لبناء المعرفة والحضارة.

خلاصة القول، تمثل الرؤية التي طرحتها منى أبو الفضل في هذا المقال إسهامًا نوعيًا في حقل إسلامية المعرفة بشكل عام، وفي مجال تجديد النظرية الاجتماعية من منظور إسلامي بشكل خاص. فهي رؤية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتنفتح على التراث الإنساني دون ذوبان أو تبعية، وتسعى لبناء نموذج معرفي بديل ينهل من المرجعية الإسلامية ويستجيب لتحديات الواقع المعاصر.

ما يميز هذه الرؤية هو جمعها بين البعدين النظري والمنهجي، فهي لا تقف عند حدود التنظير المجرد أو النقد السلبي، بل تقدم بدائل عملية وأدوات إجرائية لتفعيل النموذج التوحيدي في حقل العلوم الاجتماعية. وهذا ما يجعل من أعمال أبو الفضل مرجعًا مهمًا لكل المهتمين بقضايا إسلامية المعرفة، ويفتح الباب أمام جهود بحثية وتطبيقية جديدة في هذا المجال الحيوي.

وتؤكد أبو الفضل في ختام دراستها أن السبيل لتجاوز أزمة النظرية الاجتماعية الغربية ليس مجرد استيراد النماذج الجاهزة، بل يتطلب جهدًا نقديًا وتركيبيًا عميقًا، ينطلق من الخصوصية الحضارية والثقافية للأمة، ويوظف أدوات العصر ومناهجه، دون الوقوع في فخ التقليد أو التبعية. وهو جهد لا تقوم به عقلية أحادية منغلقة، بل عقلية منفتحة وحوارية، تدرك أهمية التفاعل مع الآخر والاستفادة من تجاربه، لكن دون ذوبان أو تماه.

مراجعة لمقال د/ منى أبو الفضل "إعادة النظر في النماذج في العلوم السياسية: خيارات نقدية ومنظورات إسلامية"

في مقالها البليغ "إعادة النظر في النماذج في العلوم السياسية: خيارات نقدية ومنظورات إسلامية" المنشور في المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية، تتناول منى أبو الفضل الحاجة الملحة للعلماء السياسيين المسلمين لإعادة تقييم وإعادة تعريف الفرضيات الأساسية لمجالهم. دعوة منى أبو الفضل إلى العمل، ملحة ومثيرة للتفكير، حيث تحث العلماء على تطوير نموذج إسلامي مميز في العلوم السياسية يعكس القيم والمبادئ الموروثة.

الفحص النقدي وإعادة التقييم

تبدأ منى أبو الفضل بتسليط الضوء على ضرورة أن يجتمع العلماء السياسيون المسلمون ويشاركون في إعادة تقييم نقدية لتخصصهم. وتشير إلى أن الممارسات الحالية لم تعد تأخذ الفرضيات الأساسية كأمر مفروغ منه. تعكس هذه الدعوة للتفكير الذاتي الاتجاهات الحديثة في العلوم الاجتماعية الغربية، حيث أدى النقد المتزايد إلى وعي نقدي مكثف وتساؤلات حول المعتقدات الراسخة لهذه الفرضيات.

أسلمة المعرفة

الموضوع المركزي في مقال منى أبو الفضل هو مفهوم أسلمة المعرفة، الذي اكتسب زخماً خلال العقود الماضية. يسعى هذا الاتجاه إلى معالجة التنافر المُدرَك بين الأسس الإبستمولوجية للعلوم الحديثة والمنظورات الإسلامية. وتجادل منى أبو الفضل بأن الأسطورة السائدة عن حيادية القيم في العلوم الحديثة مشكوك فيها، وتدعو إلى دمج القيم والمبادئ الإسلامية في التخصصات الأكاديمية المعاصرة.

التحديات والفرص للعلماء المسلمين

تعترف منى أبو الفضل بالتحديات التي يفرضها التباين القائم بين الأسس الإبستمولوجية الحديثة والمنظورات الإسلامية. ومع ذلك، ترى فرصاً كبيرة للعلماء المسلمين للمشاركة في عملية التفكير الأساسي. يتطلب هذا الأمر ليس فقط نقد النماذج الحالية بل أيضاً إعادة بناء العلوم الاجتماعية والسياسية من خلال دمج المنهجيات والمبادئ الإسلامية.

النماذج في العلوم السياسية

يتناول المقال أهمية النماذج التي تُعرفها منى أبو الفضل كأطر معيارية وإدراكية تنظم التفكير داخل التخصص. وتجادل بأن فحص هذه النماذج ضروري لتطوير حس نقدي وللمشاركة في الخطاب العالمي دون فقدان الاستقلالية. هذا الفحص ذو صلة خاصة بالعلماء المسلمين الذين يسعون للمساهمة في المجال مع الحفاظ على منظور إسلامي مميز.

التفاعل مع النماذج القائمة

تدعو منى أبو الفضل العلماء المسلمين إلى التفاعل مع النماذج القائمة بانتقاد وإبداع. تؤكد على أهمية المساهمة في الخطاب مع الحفاظ على الاستقلالية والمنظور المميز. يتضمن هذا التفاعل إعادة بناء التخصص من أساسيات جديدة ومعالجة المستويات الإبستمولوجية والتاريخية الاجتماعية، مما يضمن ملاءمة القيم الإسلامية وتطبيقها في السياقات المعاصرة.

إعادة البناء الإبستمولوجي والتاريخي الاجتماعي

يبرز المقال الإمكانية لإعادة بناء العلوم السياسية من منظور إسلامي، مع التركيز على الحاجة لمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة داخل الأمة الإسلامية. تجادل منى أبو الفضل بأن هذا الانتعاش الفكري يستند إلى دافع إسلامي حيوي، مما يوضح الأهمية المستمرة للمبادئ الإسلامية للواقع الاجتماعي. هذه العملية هي جهد فكري وعملي يتطلب من العلماء الاعتماد على تراثهم الفريد والتفاعل الإبداعي مع النماذج القائمة.

المساهمة في الخطاب العالمي

تقترح منى أبو الفضل أن العلماء السياسيين المسلمين لهم دور كبير في النقاش الأكاديمي العالمي. من خلال تطوير وتوضيح نموذج إسلامي متماسك، يمكنهم التأثير وإثراء المجال الأوسع للعلوم السياسية. تُعد هذه المساهمة جزءاً من جهد إنساني وفكري أكبر، حيث يمكن للمبادئ والمنهجيات الإسلامية أن تقدم رؤى جديدة.

إطار للنموذج الإسلامي

ختاماً، تحدد منى أبو الفضل الحاجة إلى منظور مميز يستند إلى المصادر الإسلامية، بما في ذلك القرآن والسنة والتراث التاريخي للأمة. تدعو إلى تطوير هذا المنظور من خلال التفاعل الديناميكي مع الخطاب السياسي القائم، مما يساهم في إعادة تشكيل المجال بشكل ذي مغزى. هذا الإطار ليس فقط صارماً من الناحية الفكرية بل أيضاً ذا صلة عملية، حيث يعالج الأبعاد النظرية والعملية للعلوم السياسية.

مقال منى أبو الفضل هو دعوة قوية للعمل للعلماء السياسيين المسلمين. يؤكد على أهمية إعادة تقييم وإعادة تعريف مجالهم من منظور إسلامي. من خلال التفاعل مع النماذج القائمة وتطوير أطر مستقلة، يمكن للعلماء المسلمين المساهمة في خطاب أكاديمي عالمي أكثر غنى وتنوعاً. رؤية أبو الفضل لأسلمة العلوم السياسية كانت ولازالت ملهمة وقابلة للتحقيق، مقدمة مساراً لتكامل القيم الإسلامية في التخصصات الأكاديمية المعاصرة.

-

ثانياً: إسهام منى أبو الفضل على الصعيد النظري

الدكتورة منى أبو الفضل هي أول من أسس المنظور الحضاري الإسلامي وطرحه كمنهجية لدراسة العلوم السياسية. نشأ هذا المنظور في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة في العقود الأخيرة من القرن الماضي عام 1986 على يد أستاذ العلوم السياسية الدكتور حامد ربيع، ثم تبعته الدكتورة منى أبو الفضل. ويهدف المنظور الحضاري إلى دمج المعرفة الإسلامية في المناهج، والأدوات الأكاديمية كما يسعى إلى إعادة إحياء المفاهيم والقيم الإسلامية ودمجها في مجال العلوم الاجتماعية عامة والعلوم السياسية خاصة، مستخدمًا إياها كنقد المنظورات الغربية الوضعية.

هناك العديد من الدوافع التي دفعت كل من دكتور حامد ربيع ودكتورة منى أبو الفضل إلى تأسيس هذا المنظور الحضاري: أولها قصور الأدوات والمناهج الغربية عن الإحاطة ببعض الظواهر الاجتماعية في العالم العربي بسبب الطابع التعميمي للأدوات والمناهج الغربية، وعدم إدراكها لطبيعة التباينات الحضارية، وتغافلها عن واقع الخصوصية الذي يميز بيئة حضارية عن أخرى. ثانيًا: هو عدم الرضا عن واقع دولي يسوده حسابات القوة المادية التي تستغل الفقراء وتهمش الضعفاء، ثالثًا: عدم الرضا عن النظريات التي تفسر هذا الواقع وتعيد إنتاجه بحيث تكون معظم هذه النظريات اختزالية في كثير من الأحيان تهمِّش الآخر وتدور في فلك نموذج علماني وضعي يجعلها عاجزة في كثير من الأحيان عن رؤية من يخالفها أو استيعابه. رابعًا: الحاجة لاستعادة هوية حضارية معرفية فريدة، واقتناعًا بأن هذه الهوية الحضارية لها مساهمات تعود بالفائدة على البشرية بأسرها، وتتحمل مسؤولية تقديمها نظرًا لطبيعة رسالة الإسلام التي تستهدف العالم بأجمعه.

ويعتمد المنظور الحضاري الإسلامي على منظومة القيم الإسلامية كأساس لفهم العلاقات الدولية وغيرها من الظواهر الاجتماعية حيث يجعل المنظور الحضاري الإسلامي من القيم والمقاصد معايير ثابتة تحكم وتُوجِّه وتُقدِّم إطارًا مرجعيًا للحكم على حقيقة الأمور وجودتها. ويؤمن بأهمية النظرة الشاملة للظواهر الاجتماعية، حيث يجمع بين الاهتمام بالجوانب المادية والجوانب غير المادية في فهم هذه الحقيقة، ويولي الأمور الثقافية والحضارية والأخلاقية اهتمامًا لا يقل عن القضايا السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وصفت الدكتورة منى أبو الفضل هذا المنظور بأنه منظور "واقعيًا-قيميًا"، ذو طبيعة خاصة تختلف عن الطبيعة المادية والنفعية والوضعية للمنظورات الغربية الكبرى السائدة. وترجع خصوصية هذه الطبيعة إلي تميز مصادر المنظور الحضاري الإسلامي وأصوله عن نظائرها في المنظورات الغربية حيث يستدعى المنظور الحضاري المرجعية الإسلامية بالأساس كرؤية حضارية تحرك البحث العلمى بكافة مستوياته. وهذا، وتنعكس هذه الطبيعة القيمية الخاصة بدرجة كبرية على منهجية المنظور وأدواته وعلى افتراضات المنظور ومقولاته حول الأبعاد الأساسية للعلوم الاجتماعية.

رغم اعتماد مفاهيم وقيم ومعاني إسلامية، إلا أن المنظور الحضاري نسق معرفي مفتوح صالح لكافة الظواهر والمجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية إذ ينفتح انفتاحا رأسيا حين تأخذ مصادره المعرفية بالوحي ممثلا في القرآن الكريم وينفتح أفقيا على الشعوب والحضارات المتباينة "الآخر"، وبهذا المعنى هو نسق معرفي يتجاوز الخصوصية والذاتية ليأخذ بسنة التعارف القرآنية.

أهم أفكار المنظور الحضاري الإسلامي:

- الاعتماد على مرجعية دينية ثابتة لفهم الواقع.
- دمج المعرفة الإسلامية في المناهج، والأدوات الأكاديمية
- الاعتماد على منظومة القيم الإسلامية لفهم الظواهر الاجتماعية.
- النظرة الكلية للظواهر الاجتماعية، جمعًا بين الأبعاد المادية وغير المادية.
- الاهتمام بالقضايا الثقافية والحضارية والأخلاقية بقدر ما يهتم بالقضايا السياسية والعسكرية والاقتصادية.
- الاعتماد على مرجعية دينية ثابتة لفهم الواقع.
- اتخاذ التوحيد والعمران والتزكية قيماً عليا في التعامل مع الواقع.

- <u>المفاهيم المحورية في الاسهام النظري لدكتور منى أبو الفضل</u>

في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي وكتابات الدكتورة منى أبو الفضل، تبرز أهمية تحرير المفاهيم كمطلب معرفي أساسي لبناء نظرية اجتماعية إسلامية أصيلة. فالمفاهيم هي اللبنات الأساسية للتصورات والقيم التي تشكل النظريات بشكل عام، وهي تحمل في طياتها تحيزات النموذج المعرفي الذي ينبثق منه بناء هذه النظريات.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، فإن دكتور منى أبو الفضل أكدت على دور الباحث في العلوم الاجتماعية من المنظور الحضاري الإسلامي مهمتان متكاملتان:

أولاً: نقد وتفكيك المفاهيم الأساسية في النظرية الاجتماعية المعاصرة المستمدة من النموذج المعرفي المادي الغربي، وذلك من خلال:

-1تحديد المفاهيم المحورية في النظرية الاجتماعية السائدة.

-2الكشف عن الأسس والافتراضات المعرفية التي تقوم عليها هذه المفاهيم وتشكل أصول النظرية.

-3فهم السياقات والظروف التي نشأت فيها هذه المفاهيم وتطورت.

ثانيًا: بناء وصياغة مفاهيم بديلة للنظرية الاجتماعية من المنظور الحضاري الإسلامي، حيث يتلازم النقد مع عملية التأسيس والتحرير للمفاهيم الجديدة. فلا يكفي مجرد نقض النظريات القائمة، بل لا بد من طرح بديل يستمد أصوله من الرؤية الإسلامية للإنسان والمجتمع والوجود.

وفي هذا السياق، تؤكد الدكتورة منى أبو الفضل على ضرورة الانطلاق من الواقع الاجتماعي القائم بكل تعقيداته وإشكالياته، دون إغفال أو تجاهل ما أنتجته النظرية الاجتماعية المعاصرة رغم محدوديتها وأوجه قصورها. فالتجاوز الحقيقي لهذه النظريات لا يتم بالقفز عليها، بل بالتفاعل الناقد معها ومحاولة تطويرها وفق المرجعية الإسلامية.

وبهذا، يتبين أن مشروع تأصيل العلوم الاجتماعية من المنظور الحضاري الإسلامي هو مشروع نقدي بنائي في آن، يسعى لتجاوز أزمة المعرفة الاجتماعية المعاصرة من خلال إعادة صياغة مفاهيمها ومقولاتها وفق الرؤية التوحيدية، وربطها بواقع المجتمعات الإسلامية وتطلعاتها نحو النهوض والتقدم في إطار منظومتها القيمية والحضارية الخاصة.

بجانب دورها الريادي في تأسيس المنظور الحضاري الإسلامي، قدمت الدكتورة منى أبو الفضل إسهامين آخرين لا يقلان أهمية عن المنظور الحضاري، وتهدف إلى رؤية معرفية جديدة تستهدف نهضة الأمة وتجاوز محنتها الراهنة .وتتركز هذه المساهمات في مفهومين أساسيين: الأمة القطب وإعادة الاعتبار للمرأة المسلمة.

- الأمة القطب

ترى الدكتورة منى أبو الفضل أن صفة القطبية للأمة الإسلامية هي ما مكنها من الاستقطاب والقابلية والقدرة على التجميع حولها لشتى القبائل والشعوب. فالأمة الإسلامية صاحبة رسالة لا تقوم على عرق أو لون أو إقليم، بل على دعوة ورسالة تحمل طاقة إشعاعية تستمد من خلال التاريخ وتجمع القبائل والشعوب المختلفة. إنها الأمة القطب التي تستوعب وتدمج من دون أن تزيل خصوصيات الأمم وتضيع ملامحها، وتجمع وتوحد وفي الوقت نفسه تعمل على الإثراء والمحافظة على التعدد.

وتؤكد الدكتورة منى أبو الفضل على أهمية الأمة القطب في مواجهة سجالات النظام العالمي الجديد، والذي تتملكه هواجس الهيمنة والسيطرة في ظل فرعنة العولمة. فتقول: إن الأمة القطب تؤكد أن التعدد على أشكاله سنة وآية، وأن العبرة في أي نظام هي بانفتاحه على الاختلافات النوعية داخله.

- مفهوم النسق التوحيدي والمنظور الحضاري

أما مفهوم المنظور التوحيدي فيشير إلى رؤية كلية للوجود والمعرفة والقيم تنطلق من مبدأ وحدانية الله وربوبيته المطلقة للخلق. وهذا المنظور ينظر للإنسان ككائن مركب من روح وجسد، وللحياة الدنيا كمرحلة ابتلاء وامتحان، وللكون كآية دالة على عظمة الخالق. كما يقيم توازناً وتكاملاً بين مصادر المعرفة من وحي وعقل وتجربة. في المقابل، يشير المنظور الحضاري -كما توظفه أبو الفضل- إلى نظرة شاملة للتاريخ والمجتمع تأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل أمة وحضارة وتراثها الفكري والقيمي، وتحاول فهم الظواهر الاجتماعية في سياقها الحضاري العام. فهو يختلف عن المنظور الغربي الذي يعمم تجربته الخاصة على البشرية جمعاء.
وبهذا المعنى، فالمنظور الحضاري أعم من المنظور التوحيدي، فهو ينطلق من خصوصية كل حضارة، بما في ذلك الحضارة الإسلامية التي يمثل التوحيد عمادها الأساسي. لكن المنظورين يلتقيان في نقد المركزية الغربية والدعوة لتعددية الرؤى والأصوات في دراسة الظواهر الإنسانية.

ثالثاً: إسهام منى أبو الفضل على صعيد التطبيق

بعد التناول الموجز لإبرز إسهامات منى أبو الفضل التأصيلية والنظرية من حيث رؤيتها المنهجية وتأسيسها المنظور الحضاري الإسلامي، يتناول هذا الجزء القسم التطبيقي لأفكار وإسهامات منى أبو الفضل المتعلقة بالمنظور الحضاري وينقسم إلى جزئين هامين: الجزء الأول متعلق بـ إسهامها لحقل العلوم السياسية والجزء الثاني يتعلق باهتمامها بقضايا المرأة من منظور حضاري.

أ: تدريس العلوم السياسية من خلال مدخل المنظور الحضاري

كان تطوير وتجويد الدرس الجامعي هدفًا لا يغيب عن بال منى أبو الفضل، وتأتي جهودها تنظيرًا وتطبيقًا في ميدان المنهجية العلمية من أجل تدريس النظم السياسية العربية تحديدًا؛ لأنه من خلال تدريسها هذه النظم تبدَّى لها قصورُ المناهج الغربية عن الإحاطة بكثير من الظواهر السياسية والاجتماعية والحضارية في واقعنا الإسلامي والعربي، وضرورة البحث عن منظور آخر غير المنظور الغربي. ولهذا عملت منى أبو الفضل علي إدماج مفهوم "حضاري" ضمن المجال الأكاديمي، خاصة في مقرر النظم السياسية العربية التي كانت تقوم بتدريسه عن طريق اتخاذ المفهوم مدخل لتوليد إطار منهاجي. بعبارة أخرى تفعيل فكرة الحضارة في مفاهيم وأطر مرجعية ومناهج دراسية وإدخالها إلى حيز الأكاديميا.

وقد جاء ذلك في دراستين هامتين لها، الأولي هي «المنظور الحضاري في دراسة النظم العربية: التعريف بماهية المنطقة العربية» وفي هذه الدراسة التي اهتمت بماهية المنطقة العربية. رفضت منى أبو الفضل المحاولات المختلفة لتحديد ماهية المنطقة العربية من منظور غربي منها على سبيل المثال النظرة للمنطقة من منظور قومي بحت وما يتعلق به من بروز الحركات القومية في المنطقة حيث ترى بأن المنطقة العربية ما بربطها ليس النزعة القومية كما هو الحال في أوروبا وإنما العقيدة السماوية هي الخيط الناظم لهذه الأمة وبالتالي فإن النزعات القومية ما هي إلا محاولات لتفكيك الأمة. فلم يكن العرق محددًا اساسيًا أو معيارًا للانتماء للمنطقة العربية وإنما الدين الإسلامي. كما رفضت أيضا النظر إليها على اعتبارها نظام إقليمي عربي وحصر الوطن العربي في منطقة جغرافية بعينها حيث لا يمكن الجزم بانتهاء المجتمعات العربية عند الحدود الجغرافية للدول كما حددتها الخريطة السياسية وفق لموازين القوى والمصالح. كما رفضت أيضا تعريف المنطقة من منطلق نسبتها إلى اللآخر وتسميتها بمنطقة الشرق الأوسط.

وعليه، سعت منى أبو الفضل لإعادة تعريف المنطقة العربية من منظور حضاري. وهذا التعريف الحضاري للمنطقة ينطلق من النظر للعروبة باعتبارها رابطة ثقافية حضارية تمثل آصرة التحام بين الشعوب والأفراد في هذه المنطقة. ومضمون هذه الرابطة تم تشكيله وإنضاجه عبر خبرة حضارية ممتدة منذ الهجرة النبوية الشريفة وانتقال العرب إلى أمة ذات رسالة ووظيفة استوعبت مختلف الثقافات. في هذا الإطار الثقافي الذي شكله الإسلام لم يحافظ فقط علي العقائد الأخرى بل دفعها إلى الحضور. وهذا التعريف يجعل من المنطقة العربية مع سائر أجزاء العالم الإسلامي منطقة حضارية واحدة ذات طابع مشترك حفظ له تضامنها ووحدتها على الرغم مما تحفل به من مظاهر التعدد والتنوع. كما أن هذا التعريف الحضاري يعد التعدد والتنوع عنصران أساسيان في

نظرته إلى المنطقة، ولكنه لا ينظر إلى هذا التعدد والتنوع على أنهما أمران سلبيان يجب أن يزُالا، وإنما ينظر إليها في إطار سنن خلق الإنسان والمجتمع.

كما سعت منى أبو الفضل إلى صك العديد من المفاهيم المنبثقة من هذا التعريف إنطلاقًا من إيمانها بأن لكل منظور لابد أن يكون له المفاهيم الخاصة به مستقاةٍ من الخبرة الحضارية.

ومن أهم المفاهيم التي طرحتها منى أبو الفضل هو مفهوم "الكيان الاجتماعي الحضاري" قاعدة جماعية بشرية ذات أبعاد معنوية مادية مركبة تجتمع حول أصول عضوية وحيوية وفي بيئة زمنية ذات امتدادات مكانية، يتم خلقها من خلال التفاعل والتواصل عبر المواقف المشتركة. يعد مفهوم الكيان الاجتماعي هو المدخل التفسيرى الذي خلقته منى أبو الفضل لدراسة النظم العربية. كما صكت منى أبو الفضل مفهوم " البيئة الحضارية" وهي البوتقة التي تتفاعل فيها مكونات الكيان الاجتماعي حتى تأخذ صورتها النهائية وتتكون من عناصر الفعل الحضاري المادية والمعنوية. ويوجد الكيان الاجتماعي الحضاري العربي في بيئة حضارية إسلامية يكتسب منها ملامحه التكوينية والحركية، وإليها يرجع في خصائصه الوظيفية وبالتالي فإن دراسة الأمة العربية يجب أن يكون بالمام بعلاقتها مع محيطها الإسلامي وليس في سياق منفصل.

أما الدراسة الثانية فهي كتاب بعنوان "نحو منهجية علمية لتدريس النظم السياسية العربية". جاء الكتاب في سياق الحديث عن قضايا تطوير التعليم في الوطن العربي، قامت فيه منى أبو الفضل بتقديم نموذج لتدريس مادة النظم السياسية، في مواضيع الكتاب لا تتناول السلطات الثلاث ولا تتحدث عن النظم الديمقراطية والديكتاتورية، وإنما تقدم منهجًا علميًا لتدريس مقرر النظم السياسية في العالم العربي، فتتحدث عن الغاية والمحتوى والطرائق والوسائل التعليمية، وترى أن من أهداف دراسة المقرر «تخريج المواطن الصالح القادر على أن يكون القيمة المضافة سواء في قاعدة رأي عام عربي مستنير أو في إطار الصفوة التي تشارك في الأجهزة السياسية في الدولة». ولهذا كانت توصي باتباع الخطوات التالية في تدريس النظم العربية:

1- التأكيد في بداية اول محاضرة على مبدأ تكامل المعرفة في إطار التعريف بطبيعة المقرر وتحديد موقعه من المقررات الأخرى.

2- التعريف بالمنطقة العربية من المنظورات المختلفة القومية والشرق أوسطية كما ثم طرح تعريف بديل وهو طرق المنظور الحضاري.

3- المقابلة بين المقتربات المتاحة لدراسة النظم السياسية مع تسليط الضوء على مدى صلاحية تطبيقها على النظم العربية.

4- التعرض لبعض الدراسات العلمية في مجال النظم العربية وبيان محاور التركيز ونقاط الضعف.

5- استخلاص العوامل الملحة لضرورة الإتيان بمنهجية جديدة تتفق مع طبيعة النظم محل الدراسة.

6- عناصر هذه المنهجية الجديدة سوف تكون مشتقة من المنظر الحضاري.

7- تأصيل المنظور الحضاري كمدخل لدراسة النظم السياسية العربية على المستوى التحليلي والتجريبي معًا.

8- صقل المفاهيم المقدمة والمبادئ المستقاة من المنظور الحضاري بمفاهيم وقواعد مكملة عن المنظور التنموي.

9- دراسة المفاهيم المكملة للواقع السياسي العربي مثل "التحديث السياسي" والشرعية السياسية".

10- الانتقال إلى البعد التجريبي وننتقل إلى دراسة الواقع السياسي العربي عن طريق دراسة لنماذج من النظم السياسية العربية

11- الخاتمة تكون بصياغة لطبيعة الأزمة في الواقع السياسي العربي.

ومما أرادت منى أبو الفضل إيصاله من تدريسها للنظم العربية هو أن الأدوات التحليلية المتاحة لدراسة النظم العربية باختلاف أشكالها ما هي إلا وسائل تساعد على تبيين ملامح الواقع والتعرف على حقيقة الارتباطات والتعرف على حقيقة الارتباطات التي تحكم عناصر تؤثر في حركته، أما إذا تحولت إلى هواجس تحبس الواقع داخلها وتضللنا أو تقيدنا في تعاملنا معه فهي تتحول إلى موانع ومعوقات للتحليل العلمي.

ب: دراسات المرأة

في خضم انشغالها بدراسة الفكر الغربي ونقد أطروحاته المعرفية، بدأ اهتمام منى أبو الفضل بملف المرأة المسلمة مصادفة، بعد أن استرعى انتباهها الأهمية التي يحظى بها هذا الملف في دوائر الفكر بشكل عام، والنسوي بشكل خاص، وقد تزايدت هذه الأهمية في الربع الأخير من القرن الماضي، الذي حمل متغيرين أساسيين في التعاطي مع قضايا المرأة:

الأول: حين تم التأسيس للدراسات النسوية، باعتبارها حقلاً معرفيًا في إطار الأكاديميات الغربية.

والثاني: تحول قضايا حقوق الإنسان وضمنها قضايا المرأة إلى أداة تم توظيفها بيد القوى الكبرى المهيمنة، لإحداث التغيير في المجتمعات التي بدت عصية على الحداثة.

ولعل هذين المتغيرين هما اللذان دفعا منى أبو الفضل إلى أن تضع نصب عينيها ضرورة التأصيل لخطاب عالمي، يتعامل مع قضايا المرأة من منظور حضاري، وذلك تجاوزًا للخطاب الرسمي الذي يقر الوضع القائم، تمسكاً بمقولة أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها، وتجاوزًا كذلك للخطاب الفقهي الذي تستغرقه التفاصيل والجزئيات، ولا يقدم رؤى كلية لقضايا المرأة.[2] وللخروج بتلك الرؤية إلى حيز التنفيذ؛ قامت بتأسيس كرسي

زهيرة عابدين للدراسات النسوية في الولايات المتحدة عام 1998م، وأشهرت جمعية دراسات المرأة والحضارة بالقاهرة في العام التالي مباشرة، وقد حملت أدبياتهما صورة للخطاب الذي ارتأته أبو الفضل حول المرأة

وقد آمنت منى أبو الفضل بأن تجاوز المنظور النسوي السائد لا يتم إلا عبر إسقاط المفاهيم الغربية السائدة، وإحلال مفاهيم أخرى محلها، مستقاةٍ من الخبرة الحضارية، ومستندة إلى الهدي القرآني، وفي هذا الصدد ارتأت أن مفهوم "النفس الواحدة" مفهوم محوري في صلب المنظومة المفهومية الإسلامية، بما يؤكد عليه من الوشائج التي تربط النساء بالرجال في إطار العبودية لله، وتوقفت أمام مفهوم "التكليف" للإنسان، و"التقوى" كمعيار تمايزه عند الله، وغيرها من المفاهيم التي تحمل مضامين لها دلالاتها العميقة والتي تناقض مفهوم "السلطة" المركزي في الفكر النسوي الذي يتمحور حول القوة وعلاقاتها[3]

ووفقًا للمنظومة التوحيدية، فإن السلطة والطاعة والخضوع إنما يكون لله، في إطار عقيدة جامعة، يشترك فيها الخلق جميعاً رجالاً ونساء؛ فالخضوع داخل شبكة العلاقات الاجتماعية ليس مرتبطًا بالمرأة (النوع)، ولا بوضع اجتماعي (طبقة)، لكنه ينسحب على المؤمنين جميعًا، الذين يسلمون لله (مالك الملك) طواعية ودون إكراه وإلى مفهوم آخر أصيل يمكن أن يشكِّل منطلقًا في التعامل مع المرأة تتوقف أبو الفضل أمام مفهوم "الولاية" القرآني كما صاغته الآية الكريمة {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} [التوبة: 71]، وهو مفهوم من شأنه أن ينقل مركز الثقل من مفهوم القوة والصراع في النسوية الغربية، إلى مفهوم آخر مغاير وهو التضامن والتماسك في إطار الجماعة الإسلامية. [4]

وفي سعيها الدؤوب لبناء منظومة مفاهيمية متكاملة عن المرأة، تُقارن منى أبو الفضل بين المفاهيم الغربية ونظيراتها الإسلامية. وتتخذ من مفهوم "المساواة" نموذجًا، متسائلة: "أين موقعنا من هذه القيمة في إطار منظورنا الحضاري؟ ." وتؤكد أبو الفضل في معرض إجابتها على أن اختلاف المنطلقات يؤدي حتمًا إلى اختلاف النتائج. فبينما ترتكز قيمة الفرد في المنظومة المادية على تقدير جهده في العمل، والمطالبة بالمساواة في فرص العمل والأجور والحقوق المادية، نجد أن مفهوم "التسوية" في الإسلام ينطلق من بعد وجودي أعمق، فهو يبدأ من مبدأ الخلق من نفس واحدة . ثم تتجلى هذه التسوية في مختلف المستويات الحضارية والاجتماعية، والتي تُبنى على أساس التكافؤ بين الجنسين. وانطلاقًا من قدسية النفس، سواء أكانت لرجل أم امرأة، تُشرّع الأحكام التي تُجرّم الاعتداء عليها وتُحَرم قتل النفس.[5]

وبالانتقال لسيرة المرأة في التاريخ الإسلامي "السيراتوغرافيا"، يشكل البحث عن موقع المرأة المسلمة في التاريخ الإسلامي -الذي أفردت له محور العدد الثاني من دورية المرأة والحضارة- ركنًا ركيناً من أركان مشروع منى أبو الفضل النسوي، الذي ينبني على مسلّمة أولية قوامها الارتباط العضوي بين المرأة والأمة، وأن دراسة تاريخ المرأة هو أحد مداخل دراسة تاريخ الأمة بشكل كلي، "فنحن لا ننظر للمرأة بجنسها أو بمفردها، بل ننظر لدورها العمراني وللفعل الذي قامت به، بصفته جزءًا من سياق ونسيج وأدوار متداخلة

وممتدة في التاريخ"[6]. وانطلاقاً من هذا المنظور، لا تعد منى أبو الفضل قضية المرأة أو مراجعة دورها هدفًا في حد ذاته -على ما لها من أهمية- ولكنها مدخل في غاية الأهمية عند استهداف قراءة تاريخ الفعالية الحضارية للأمة.

وخلال بحثها عن مكانة المرأة في التاريخ الإسلامي، تُشدّد منى أبو الفضل على ضرورة مراعاة بعض الاشتراطات المنهجية عند دراسة تاريخ المرأة. ومن أهم هذه الاشتراطات، عدم الانجراف وراء الدعوات التي تُرجّح دراسة التاريخ الاجتماعي على حساب التاريخ السياسي. وترى أبو الفضل أن هذه الدعوات تنطلق من رؤية مادية تُفسّر الظواهر الاجتماعية من منظور اقتصادي طبقي بحت، وهو ما يتعارض مع منطلقاتنا المعرفية التي تؤمن بأن المجتمع أكثر تعقيدًا من اختزاله في بُعده المادي والاقتصادي فقط.[7].

وكمثال حيّ على منهجها، دشّنت منى أبو الفضل مشروع "الأم أمة". يهدف هذا المشروع إلى دراسة سيرة المرأة المسلمة المعاصرة، وتأسيس منهجية جديدة في كتابة السير أطلقت عليها اسم "السيراتوغرافيا." واختارت أبو الفضل سيرة الدكتورة زهيرة حافظ عابدين، "أم الأطباء"، نموذجًا تطبيقيًا لطرح واختبار هذه المنهجية. وقد صدر أول كتاب ضمن هذا المشروع بعنوان "أم الأطباء المصريين: مجلد تذكاري" قبل رحيل الدكتورة منى أبو الفضل بفترة وجيزة. وكانت تخطط لكتابة سيرة أخرى عن "بنت الشاطئ" كجزء من هذا المشروع. [8]

نجحت منى أبو الفضل في رسم معالم قراءة نسوية مغايرة. هذه القراءة تتميز بخصائص متعددة، أهمها الوعي العميق بخلفيات وأهداف الخطاب النسوي، سواء كانت معلنة أو مستترة . وتتميز هذه القراءة كذلك بوعيها بما يمكن تسميته بـ "البنية التحتية للمعرفة" أو "ما قبل المنهج". هذه البنية هي التي توجه البحث العلمي، وتحدد مسبقًا المفاهيم والأطر والأسئلة البحثية. ونتيجة لذلك، غالبًا ما يبقى البحث حبيسًا لهذه الأطر المرسومة، ويعيد إنتاج نفس المقولات دون تجاوزها.

إن وعي منى أبو الفضل بهذه البنية المسبقة يسمح لقراءتها المغايرة بالتحرر من قيود القراءة السائدة، والانطلاق من أسئلة جديدة وغير مألوفة، للوصول إلى نتائج متجددة تفتح آفاقًا بحثية أرحب. ولا تقتصر قراءة أبو الفضل على الوعي، بل تتسم بالنقد أيضًا. فهي قراءة نقدية قادرة على تفكيك خطاب النسوية السائد ونقد مقولاته. لكن هدفها ليس الهدم أو التقويض، بل يتجاوز ذلك إلى بناء خطاب نسوي جديد.
هذا الخطاب الجديد يتميز بالشمولية والتركيبية، وقدرته على التعامل مع الظواهر الحضارية المركبة دون تجزئة. ويمكننا القول إن د.منى أبو الفضل قد أسست لخطاب نسوي بديل، ينطلق من الأرضية الحضارية ويستند إلى قيمها ومفاهيمها[9].

خاتمة

وفي الختام يمكن ان نلاحظ أن رؤية منى أبو الفضل تلتقي مع إسهامات عدد من المفكرين البارزين، من أمثال عبد الوهاب المسيري الذي قدم مشروعاً نقدياً متكاملاً للحداثة الغربية ونموذجها المعرفي المهيمن. وهو التقاء يعكس تبلور حراك فكري وحضاري داخل العالم الإسلامي، يسعى لتجاوز ثنائية التقليد والتغريب، وتأصيل العلوم الاجتماعية والإنسانية على أسس معرفية وقيمية نابعة من الذات الحضارية للأمة ومستجيبة لتحديات العصر ومتغيراته.

وتكتسب الأطروحات النقدية التي تقدمها منى أبو الفضل زخماً وثقلاً أكبر، عندما نقرأها في ضوء الواقع السياسي والأكاديمي المعاصر، وما يشهده من أزمات وتناقضات. فعلى المستوى السياسي، تظهر أحداث العدوان الأخير على غزة مدى الازدواجية وغياب المعايير الأخلاقية في تعامل الدول الغربية مع قضايا الشعوب المستضعفة، حيث تنتهك كل المواثيق الدولية والقيم الإنسانية التي تتشدق بها هذه الدول باستمرار، فيما تواصل دعمها للاحتلال الإسرائيلي وجرائمه بحق الشعب الفلسطيني الأعزل.

أما على صعيد الأكاديميا والبحث العلمي، فنلاحظ كيف تُوظَّف المراكز البحثية والجامعات الغربية في خدمة الأجندة السياسية والأيديولوجية للدول المهيمنة، من خلال انحيازها الفاضح للرواية الصهيونية وتبريرها لممارسات الاحتلال، بالتوازي مع تجاهلها لحقائق التاريخ وحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة. وهو ما يكشف مدى تورط المؤسسة الأكاديمية الغربية في منظومة الهيمنة والاستعمار، ويدحض مزاعم الحياد والموضوعية التي تتدثر بها.

وتتكرر هذه الأنماط من الازدواجية والتحيز في مواقف الدول والمؤسسات الغربية تجاه العديد من القضايا والأزمات العالمية الأخرى، سواء تعلق الأمر بالحروب والتدخلات العسكرية في دول العالم الثالث، أو بالسياسات الجائرة في توزيع الموارد والثروات على الصعيد الدولي، أو بالتعامل المنافق مع ملفات البيئة والهجرة وحقوق الإنسان، أو بالهيمنة الثقافية والإعلامية التي تسوق للنموذج الغربي كقيمة كونية يجب تعميمها.

كل هذه الوقائع تؤكد صدقية التحليلات النقدية التي قدمتها منى أبو الفضل للنموذج الغربي، وتبرز مدى أهمية وإلحاح التأسيس لنماذج فكرية وحضارية بديلة، تنطلق من رؤى كلية للإنسان والمجتمع وتعيد الاعتبار للقيم والغايات النبيلة. وهو تأسيس لا يمكن أن يتم بمعزل عن النضال الشامل من أجل التحرر والعدالة والكرامة، بل هو جزء من المعركة الكبرى لاستعادة الأمة لدورها الريادي على الصعيد الفكري والحضاري.

وفي هذا السياق، تبرز القضية الفلسطينية كنموذج رمزي وملهم لجوهر هذا الصراع، بكل ما تختزنه من قيم المقاومة والتضحية والأمل. ففلسطين اليوم هي ساحة لتعرية زيف الحضارة الغربية وقيمها المزعومة، وهي في الوقت نفسه حاضنة لبذور نموذج بشري بديل قائم على الحق والعدل والتعايش بين الشعوب.

ونخلص من كل ما سبق إلى أن إسهامات منى أبو الفضل لا تنحصر في بناء نظرية اجتماعية بديلة فحسب، بل تمتد لتشمل التأسيس لمشروع نهضوي شامل ينطلق من الذات الحضارية للأمة ويستجيب لتحديات الواقع ومتغيراته. وهو مشروع لا ينفصل عن نضال الشعوب من أجل التحرر والاستقلال، ولا يتحقق بدون إحداث تحول جذري في موازين القوى المعرفية والقيمية على الصعيد العالمي.

إن التراث الفكري الثري الذي خلفته منى أبو الفضل، وغيرها من رواد مدرسة المنظور الحضاري أمثال حامد ربيع وعبد الوهاب المسيري ونادية مصطفى لا يمثل مجرد نماذج جامدة للتقليد، بل هو نبراس يضيء الطريق ويحفز على الإبداع والتجديد، لبناء علم سياسي واجتماع ينهض بالإنسان ويستجيب لتطلعاته وقيمه النبيلة. وهي مهمة شاقة وطويلة، تتطلب تضافر جهود أجيال من الباحثين والأكاديميين عبر مسيرة ممتدة من العمل الدؤوب والتراكمي. والأهم من ذلك، أن تكون هذه الجهود التنظيرية والمنهجية، مقرونة دوماً بالتزام قيمي وأخلاقي واضح بقضايا الأمة ومصيرها، وأن تشكل القيم والمبادئ الكلية بوصلة هادية وموجهة لحركتها رغم اختلاف مشاربها وتوجهاتها. فالمعركة الكبرى التي تخوضها الأمة اليوم هي في جوهرها معركة حضارية ووجودية، تتعلق بتحديد هويتها الثقافية ورسالتها الإنسانية في هذا العالم.

ولا سبيل لحسم هذه المعركة المصيرية، إلا بامتلاك زمام العلم والمعرفة، وبناء نماذج معرفية بديلة، تنطلق من الرؤية الحضارية الأصيلة للأمة وتوظف مناهج العصر وأدواته، في إطار منظومة قيمية وغائية واضحة المعالم. وهنا تتجلى أهمية استلهام النماذج الفكرية المضيئة أمثال منى أبو الفضل، ليس للاجترار والتكرار، بل للإضافة والتطوير والتجديد. إن الأمة العربية والإسلامية، على الرغم من كل التحديات التي تواجهها، لا تزال تمتلك كل مقومات النهوض الحضاري، من تراث فكري وروحي عريق، إلى طاقات بشرية وموارد طبيعية هائلة، وصولاً إلى إرادة التحرر والتقدم لدى شعوبها وأجيالها الصاعدة. لكن استنهاض هذه المقومات وتفعيلها، يتطلب صياغة مشروع فكري وحضاري متكامل، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الثوابت والمتغيرات، وبين الجذور والأفق المستقبلي الرحب.

وفي هذا المسار، نحتاج إلى تسخير كل الطاقات والكفاءات المتاحة، واستنفار كل مؤسسات التعليم والبحث والإعلام، لتكون منارات لبناء الإنسان الجديد ونشر الوعي الحضاري بين الناس. فلا نهضة بدون علم وفكر متحرر، ولا حضارة بدون قيم ومبادئ سامية، ولا تقدم بدون عمل مؤسسي منظم وفاعل. ولنجعل من المشاريع الفكرية الرائدة، كتلك التي قدمتها مدرسة المنظور الحضاري ورموزها من أمثال منى أبو الفضل وحامد ربيع وعبد الوهاب المسيري ونادية مصطفى وغيرهم، منطلقاً لحراك فكري وحضاري جديد، يعيد للأمة مبادرتها وريادتها في صناعة النماذج المعرفية والأخلاقية البديلة لمشروع الحداثة الغربية المتأزم. فبناء علم سياسة

واجتماع ينتصر للإنسان في كرامته وحريته وتطلعاته، هو جزء من التزامنا المعرفي والحضاري تجاه أنفسنا وأمتنا والبشرية جمعاء.

وفي هذا الجهد النهضوي الشامل، لا ننسى أبداً أن كل إنجاز علمي أو فكري أو مؤسسي نحققه، ليس ملكاً لنا وحدنا، بل هو حصيلة تراكم المعرفة والخبرة الإنسانية عبر الأجيال والحضارات. وهو ما يحتم علينا التزاماً أخلاقياً بمبادئ الحوار والانفتاح والتكامل مع الآخر، فنأخذ منه ما يصلح حالنا ونضيف إليه ما عندنا، في إطار من المساواة والاحترام المتبادل وهو ما يثبت أهمية حفظ التراث الفكري لأساتذتنا والبناء عليه.

قائمة بالإنتاج العلمي لدكتور منى أبو الفضل

لمعرفي			
	ة للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات سلسلة المنهجية الإسلامية ١٣	عهد العالمي للفكر	
	نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة في الإسلام	ة الشروق الدولية	
	طوير التعليم في الوطن العربي: نحو منهجية علمية م السياسية العربية	ة الشروق الدولية	
	اجي لدراسة النظم السياسية العربية	ر السلام للطباعة شر والترجمة	
العربية			
رفة كقوة للتجديد الثقافي العالمي أو علاقية المدخل المعرفي التوحيدي		ي للفكر الإسلامي	
الشرق بالغرب: الغرب على جدول أعمال الإحياء الإسلامي نجليزية من الكتاب: where east meets the west		مي للفكر الإسلامي- جينيا	
د نصر عارف: في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية لاستقراء والتأصيل		ي للفكر الإسلامي	
تماعية المعاصرة: نحو طرح توحيدي في أصول التنظير ودواعي البديل		ة - عالمية - محكمة) مي المعاصر (إسلامية (	

	ارة للدراسات السياسية سات المعرفية	ضاري وخبرة تدريس النظم السياسية العربية في: دورة المنهاجية الاسلامية جتماعية : حقل العلوم السياسية نموذجا
	ارة للدراسات السياسية	منظور حضاري معرفي لدراسات المرأة
	ت المرأة والحضارة	ي والثاني من "المرأة والحضارة"
الإنجليزية		
	Journal of Islam ty	ity, Justice, and Jihad: elements of the Muslim consciousness
	Journal of Islam ty	s in Political Science Revisited : Critical Options im Perspectives
	Journal of Islam ty	ng Epistemics: Tawhid, the Vocationst and Social
	Journal of Islam ty	ulture Parodies and Parodizing Cultures : Shaping rse
	Journal of Islam ty	the Circle in the Study of the Middle East: Islamic m Reconsidered
	Journal of Islam ty	orary Social Theory-Tawhidi Projections-part1
	Journal of Islam ty	orary Social Theory-Tawhidi Projections-part 2

بالإضافة إلى الأوراق البحثية والكتب المذكورة أعلاه، أشرفت الدكتورة منى أبو الفضل على إصدار دورية "المرأة والحضارة" في أعدادها الثلاثة الأولى، وهي نشرة متخصصة في دراسات المرأة المسلمة .كما قدمت العديد من الأوراق البحثية باللغتين العربية والإنجليزية في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة في مجالات اهتمامها البحثي حول المنظور الحضاري الإسلامي وقضايا المرأة والحضارة الإسلامية ومازال لها عدد من الكتب تحت النشر وفقاً لما أفادة مركز الحضارة للدراسات.

---

[1] Abul-Fadl, M. (1990). Contrasting Epistemics: Tawhid, the Vocationst and Social Theory. *American Journal of Islam and Society, 7*(1), 15–38. https://doi.org/10.35632/ajis.v7i1.2665

[2] فاطمة حافظ، منى أبو الفضل: المنظور الحضاري- المعرفة التوحيدية- النسوية الإسلامية، موقع الملتقى للأبحاث والدراسات.
https://almultaka.org/site.php?id=679&idC=4&idSC=17

[3] منى أبو الفضل (2000)" المنظور الحضاري وخبرة تدريس النظم السياسية العربية"، محاضرة منشورة ضمن أعمال دورة المنهجية الإسلامية في دراسة العلوم الاجتماعية.. علم السياسة نموذجًا/ إشراف سيف الدين عبد الفتاح ونادية مصطفى. القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية.

[4] منى أبو الفضل، هند مصطفى علي (2000). خطاب النهضة في عصر النهضة: قراءة بديلة. في: أعمال ندوة مائة عام على تحرير المرأة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ص 291.

[5] منى أبو الفضل (2001). نحو منظور حضاري لقراءة سيرة وتاريخ المرأة المسلمة. المرأة والحضارة. ع. 2. ص ص. 162-163.

[6] المرجع السابق، ص160

[7] المرجع نفسه.

[8] محمد الغزالي البسيوني. (2022). النسوية الإسلامية في فكر منى أبو الفضل. موقع إضاءات.
https://www.ida2at.com/islamic-feminism-in-the-thought-of-mona-abul-fadl

[9] فاطمة حافظ، مرجع سابق.